DOI:10.52113/uj05/023-16/694-703 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة: www.muthuruk.mu.edu.iq

محمود محمد طه (الولادة والنشأة والتكوين المعرفي)

زينب عجمي رسول *

متعب خلف جابر الريشاوي

جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الانسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2022/9/12

تاريخ التعديل : 2022/10/5

قبـول النشـر: 2022/10/9

متوفر على النت: 2023/4/16

الكلمات المفتاحية :

محمود محمد طه ، الولادة ، التكوين المعرفي .

الملخص

يعد محمود محمد طه واحد من المفكرين العرب الذين برزوا خلال القرن العشرين, ومنذ ولادته عام 1909 في قرية الهجليج وانحداره من بيئة اجتماعية ذات ثقافة صوفية إلى انتقاله لمدينة رفاعة لا تعليم, ومنها انطلق إلى كلية غوردون التي كانت تمثل انتقال من الثقافة الريفية الصوفية إلى الثقافة المدنية ذات المؤثر الغربي بوصف أن الهيئة التدريسية في كلية غوردن أغلبهم من الإنكليز او من المعلمين في المدارس البريطانية, وشيء طبيعي أن يتأثر الطالب بالبيئة التعليمية التي نهل منها علومه, فضلاً عن ذلك كان الوضع السياسي في السودان يحمل طابع الاستعمار البريطاني والمصري ويهمش السودانيين في إدارة بلادهم, لذا نجد أن محمود محمد طه قد حمل هموم بلاده من الصغر وعمل على مقاومة الاحتلال, ولكن بسلمية وعدم استخدام العنف.

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2023

المقدمـة:

هدف البحث:

يهدف البحث على تسليط الضوء على نشأة المفكر السوداني محمود محمد طه من حيث الولادة والنشأة والتكوين المعرفي.

أولاً: ولادته:

ولد محمود محمد طه مالك الفضل عام 1909 في قرية الهجليج التابعة الى مدينة رفاعة الواقعة على الشاطئ الشرقي للنيل الأزرق في وسط السودان[1], لأب من منطقة مورة بشمال السودان يعمل تاجراً عمل في تجارة العطور, وفي الوقت نفسه عمل في الزراعة مثل الخضروات والذرة في مزرعته بقرية الهجيلج, وأم من رفاعة بوسط السودان، ويعود إلى قبيلة الركابية_ فرع البليلاب نسبةً إلى الشيخ المتصوف حسن ود بليل وهو من كبار متصوفة السودان, وكانت السودان في حينها تحت الحكم الثنائي البريطاني_ المصري[2], وقد رغب والده محمد طه مالك بتسمية ابنه باسم (علي), إلاّ أن والدته فاطمة بنت محمود أطلقت عليه اسم (محمود) وهو اسم جده لأمه, وذلك الاختلاف والتوافق وارد في الأسر العربية, توفيت والدته في بداية طفولته بداء السحايا بعد ولادة أحمد المصطفى, ودفنت في قرية (صفينة) مقر أسرتها عام 1915, فعاش محمود واخوته تحت رعاية والدهم، وعملوا معه بالزراعة في قرية الهجيليج بالقرب من رفاعة، غير أن والده لمّ يلبث أن توفى ملتحقاً بزوجته عام ودفن في قرية الهجيليج1920، فانتقل مع اخوته للعيش بمنزل عمتهم في رفاعة[3].

*الناشر الرئيسي : E-mail : Zainab_Ajami4@gmail.com

اتجه محمود محمد طه منذ صغره الى التخلص من الواقع الذي عاش فيه, وعمل على بناء شخصيته بما كان طامحا له, وكان العالم العربي والإسلامي يعيش سطوت الاحتلال الأجنبي وهيمنة التخلف والامية الامر الذي اوجد فصلا بين ماضية الزاهي وحاضره البائس آنذاك, اختلفت الروايات حول سنة ميلاده, واعتمدت الباحثة العام 1909؛ نظراً لما نقلته ابنة أخيه بتول مختار محمد طه[4]، وكذلك على ملف خدمته الوظيفي في سكك حديد السودان, فقد كتبت بتول محمود طه في مذكراتها قائلةً: **"وردت العديد من الافتراضات عن ميلاد عمي محمود محمد طه, منها: 1911,1910,1909, والراجح عام 1911؛ لأن والدة محمود محمد طه التي توفيت عام 1915, وهذا تاريخ مؤكد؛, وقد انجبت فيه فاطمة أحمد مصطفى 1915, وقياساً على ذلك, فأن تاريخ ميلاد مختار 1913 ومحمود 1911"**, وقال الاستاذ محمود محمد طه ذات يوم: **"إن الناس يولدون ولا أحد يهتم لميلادهم, ولكن عندما يصبحون عظماء يبحث الناس عن تاريخ ميلادهم"**[5]، لكن التاريخ الصحيح لميلاد محمود محمد طه عام 1909 عندما جاء تصحيحاً من أحد أقاربه من النساء, إذ اخبرت الناس أن هناك شخص ولد في نفس عام ولادة محمود ولديه شهادة ميلاد عام 1909, انجب محمد طه وفاطمة خمسة من الابناء والبنات كانوا على التوالي: بتول عام 1907, وكلثوم عام 1909, وجاء بعدهن محمود عام 1911, ثم مختار عام 1913, وأخيراً أحمد المصطفى عام 1915 الذي توفي بعد ولادته, ولم يفصل بين وفاة والدي محمود سوى خمسة أعوام وهو دون سن الثانية عشر من عمره, بعد والدته, خرج والده محمود بأطفاله من مدينة رفاعة متوجهاً إلى قرية (الهجيلج) التي تقع على الضفة الشرقية للنيل الأزرق على بعد نحو خمسة عشر كيلو متر من مدينة رفاعة, وقد رويَ محمود محمد طه واصفاً تلك الصورة إلى ابنة أخيه بتول قائلا: **"خرج والدي في اطفاله الأربعة من المدينة_ بنتان وولدان, في هودج على ظهر جمل في يوم ممطر عابراً الأراضي الواسعة ليواجهوا حياة جديدة في مكان جديد, وكان ذلك المكان الجديد قرية الهجيلج"**[6] وكان لها دوراً كبيراً في تنشئته, فقد كان من المعروف في ذلك الزمان أن الناس يأخذون ابنائهم إلى البادية لكي يرضعوا حب البادية, وهي من عادات العرب القديمة, ويتنفسوا الهواء الجميل هناك, لكي يعبّروا عن أنفسهم, ويمارسوا الحياة هناك, ولما توفيت والدته كان الابناء والبنات صغار, فقامت برعايتهم جدتهم لوالدتهم زينب بنت حمزة مع مربيتهم ربى جودة, وكانت جدته تسميه دراج ومعنى كلمة دراج **(الشخص الذي يأخذ بيد الضعفاء ويساعدهم بالتدريج")**[7], ووهبت ربى شبابها له لاسيما بعد وفاة جدته عام 1948, رافضة كل من تقدم لها بالزواج حتى توفيت سنة 1982[8], والتقى محمود محمد طه زوجته آمنة محمد لطفي في منزل ابنة خالتها فاطمة بنت ضرار زوجة عبد الله الغول في مدينة أم درمان , وقد جاءت مع اسرتها لحضور حفل زواج في الأسرة, وكان محمود يقرب لرب الأسرة عبدالله الغول, وبعد تلك المناسبة ذهب محمود إلى قرية صفينة, وهي إحدى القرى المحيطة بمدينة رفاعة وتقدم لخطبتها, وتم الزواج, ورحل بها إلى حيث استقرت معه في منزله على شاطئ النيل الأزرق في مدينة رفاعة, وقد كانت معهم جدتهم زينب بنت حمزة, وانجبا اربعة أطفال, وهم: محمد, وفاطمة, واسماء[9], وسمية[10], وتوفي ابنه محمد غرقاً في النيل الأزرق بمدينة رفاعة في سن العاشرة من عمره عام 1954, وسبب ذلك حزناً شديداً لوالده محمود, لكنه كان راضياً بقضاء الله, فقد قال لمن جاء لتعزيته: **"إن ابني قد ذهب إلى رب أرحم"**[11].

تعليمه وأساتيذه وتأثيرهم الفكري والنفسي:

بدأ محمود تعليمه بعمر السابعة في الخلوة[12] بقرية الهجيلج[13], وكان قد تدرّب على الأمور الزراعية, وأمور الأسرة على يدي والده, بعد وفاة والده عام 1920 إن عاش مع اخوته وهم صغار لم يكن أكبرهم قد تجاوز سن الرابعة عشر, وهو دون سن الثانية عشر حياة لخص وصفها إلى ابنة اخيه بتول مختار محمد طه قائلاً: "**حياتي كلها يتم**", وعن تفسيره لتلك العبارة

DOI:10.52113/uj05/023-16/694-703

كتبت بتول في مذكراتها قائلةً: "هو **ينظر لليتم من ناحية تثير الحزن والعطف**", وكتبت قائلةً: **"كان ينظر لليتيم من ناحية اختبار رباني الهي ليقويه ويحقق به درجات من التفوق والنجاح"**, فليس من السهل أن تحقق وسط الوالدين, لذلك كان يقرأ كثيراً إن اليتم أحياناً يساعد الانسان على شق طريقه في الحياة والنجاح نحو الهدف الذي يحدده وصف نشأته, قائلاً: **"كانت نشأتنا مثل البروس_ وهو النبات الذي ينمو دون زرع ويرس الارض سهلها البرس القطن"**,[14] وبعد وفاة والد محمد طه كان محمود قد بلغ سن الدخول للمدرسة, وبما إنه لم تكن هناك مدارس في القرية وقتئذ, عادت الأسرة إلى مدينة رفاعة واستقرت في منزلها القديم الذي ولد فيه الابناء والبنات, وبسبب اصرار عمته على التحاقهم في المدرسة, التحق هو وشقيقه مختار بكتّاب رفاعة عام 1924[15], ومن ثم المرحلة المتوسطة, وكانا يعودان لقرية الهجيلج لغرض الزراعة الذرة والخضروات في موسم الخريف, ويحصدوا ما يكفي حاجتهم لمدة عام.

تلك المهمة كانت السبب في غياب محمود وشقيقه المختار عن المدرسة لبعض الوقت, إلاّ أن ادارة المدرسة كانت متفهمةً ومدركةً لظروفهما فلم تحاسبهما.

واضافت بتول في مذكراتها: "**إن الاستاذ محمود قال لها عندما كانا صغاراً لم نكن منعمين مثلكم, فقد كنا ايتاماً, وكنا نعمل في سن مبكرة لنجمع قوتنا, إذ لم يكن لنا أعمام ولا أخوال ولا حتى شخص يشرف على تربيتنا**"[16], واكمل محمود تعليمه بمدينة رفاعة, وبنهاية عام 1931 أتمّ المرحلة المتوسطة, وانتقل إلى الخرطوم؛ للالتحاق بكلية غردون, وكانت قد شهدت السودان بداية القرن العشرين مؤسسات التعليم الحديث, مثل: كلية تدريب المعلمين والقضاة في أم درمان عام 1900, ومدرسة الصناعة في أم درمان, وكلية غردون التذكارية عام 1902 حالياً جامعة الخرطوم, والمدرسة الحربية (مدرسة الخرطوم الحربية) عام 1905, كما افتتحت مدرسة كتشز الطبية عام 1924, وانتشر المعهد العلمي في أم درمان عام 1912 على غرار الأزهر من حيث المناهج واللوائح, وجعلت مدة الدراسة فيه اثني عشر عام مثل مدة الدراسة في الأزهر[17], وكان الحاكم العام قد انشأ مجلس للعلماء عام 1902[18] أطلق عليه لجنة العلماء, ونظّم التدريس في الجامع الكبير في أم درمان, ومهّد لإنشاء المعهد العلمي[19], وكان لتلك المؤسسات دورٌ كبيرٌ وعظيم في تاريخ السودان, كما لعب المعهد العلمي بشكل كبير في حياة الاستاذ محمود محمد طه ووقف موقفاً عدائياً تجاه مشروعه, وبقي ذلك التأثير حتى تاريخ اليوم, فتناولت تلك المؤسسات التعليمية الحديثة واقع الحياة السودانية في مطلع القرن العشرين بالطلائع الأولى للمتعلمين, كانت لأولئك الذين سافروا للدراسة في مصر ولبنان, وكان التعليم قبل ذلك تعليماً دينياً أساسه العلوم الشرعية واللغة العربية, وقوامه الكتاب والخلوة والمسجد, ومجالس العلماء والازهر.

الدراسة في كلية غردون (1926-1932):

التحق محمود محمد طه بقسم المهندسين بكلية غردون, وكان ينوي دراسة القانون, ولكن تم اختيار قسم الهندسة[20], ورغم تخرجه من قسم المهندسين, إلاّ أن محمود سعى بعد ذلك لدراسة القانون, وقدم خطاباً أرفق معه طلباً بالالتحاق بكلية السودان للقانون, وعلّل ذلك في خطابه سبب وهدف دراسته القانون, لكنه في النهاية التحق بقسم المهندسين بالكلية في أوائل عام 1932, وهو العام التالي لإضراب طلبة كلية غردون والعام الثالث من انفجار الأزمة الاقتصادية العالمية عام 1929, وكان اضراب الطلاب يوم 22 تشرين الأول عام 1931 أكبر حدث سياسي شهدته السودان منذ فشل ثورة 1924, ووصف محمود الأعوام 1929 و1930 و1931 بحدث أول اضراب عرف لدينا في السودان وهو اضراب كلية غردون[21], وقد ترتب على ذلك الاضراب الكثير من الآثار على الحركة السياسية, إذ أحيا الاضراب الروح الوطنية, كما إنه مثّل نقطة البداية لنشاط الطائفية الاستقطابي, وكان السبب المباشر للإضراب تخفيض مرتبات الخريجين من ثمانية جنيهات في الشهر إلى خمسة

DOI:10.52113/uj05/023-16/694-703

جنيهات ونصف, ومن الجدير بالذكر إن الطلبة اقسموا على المصحف بعدم عودتهم إلى مقاعد الدراسة مالم يتم الغاء القرار الصادر من الحكومة بتخفيض المرتب الشهري للخريج, والسبب الثاني حالة الانقسام الذي عاشها البلد, وتدهور الاوضاع الاقتصادية, وذهب مكي المنا (1908-1978) أحد قادة الاضراب في روايته لصحيفة الرأي العام عام 1946[22], إلى أن للأضراب مقدمات تتصل بسياسة البطش والتنكيل والتضييق, التي اتبعتها الادارة الاستعمارية بعد ثورة 1924 في البلد كله, وفي كلية غردون, إذ كان هناك قطيعاً منهم حملوا التراب في عملية تعذيب (أعمال السخرة) منكره ووراءهم صف من رؤسائهم الطلاب الكبار يضربونهم بالعصى بدون رحمة وشفقه, وبقيَ الحال هكذا, إلاَّ أن الوضع تغير بعد عودة بعض الذين كانوا يدرسون بالجامعة الامريكية في بيروت, وهم: عبيد النور, وعبد الفتاح المغربي, وكان لهم رأي مما شاهدوه من فارق عظيم بين معهد ومعهد, وبين طالب وطالب, إذ قام عبيد النور بحركة هائلة أراد من خلالها رفع الارهاب والاذلال عن جميع الطلبة, واشعارهم بأن للدراسة الجامعية أهمية كبيرة ولها قيمتها, فهي تهدف إلى خلق القوة والارادة للتغلب على متاعب الحياة إلى جانب تحصيل العلم, وتلك الحركة قادت الطلبة إلى تغيير وضعهم حيث كانت الفئة التي يتزعمها الشيخ أحمد السيد الفيل (1878-1951) [23] رئيساً للجنة العشرة, وقد أيدت تلك اللجنة الطلاب في اضرابهم وعرفوا بـ(الفيلست), وكان يقف خلفها السيد علي الميرغني[24], أما الفئة الأخرى التي ادانت الاضراب كانت خلف السيد محمد علي شوقي (1894-1960)[25] الذي كان رئيساً لنادي الخريجين والتي عرفت بفئة (الشوفست), وكان خلفها السيد عبد الرحمن مهدي (1885- 1959)[26], وكان قد تقدم المهدي بمقترح الى الحكومة برفع رواتب الخريجين إلى ستة جنيهات, وقبلت الحكومة والطلبة ذلك المقترح, وتدخل السيد عبد الرحمن المهدي, وقال للطلبة: **"إنه من الضروري أن تظل أبواب الكلية مفتوحة؛ لكي تخرج جيلاً من المتعلمين لخدمة القضية الوطنية".**

المحاولات الأولى لطرح أفكاره في مجلة الكلية:

شارك محمود طه اثناء مدة الدراسة في كلية غردون في العديد من الجمعيات الأدبية والنشاطات الطلابية والرياضية, مثل: العدو والسباحة[27], وفلاحة البساتين, وكتابة المقالات, واتسمت علاقاته مع زملائه واصدقائه بروابط انسانية رفيعة, وكانت لشخصيته هيبةً لفتت انتباه بعضهم, وكان مؤثراً في الكثيرين منهم, وقد تجلّت تلك الرابطة الانسانية الرفيعة في مواقف عديدة, منها: كتب مقالاً رثى به أحد أصدقائه محمد ابو الطالب, إذ عبّر في ذلك الرثاء بعاطفة جياشة من حزن وأسى عميق, ووصف صديقه وصفاً دقيقاً من معاني انسانية, ودماثة الخلق, والحكمة, والتجربة, والصلابة, وقد نشر ذلك المقال في مجلة كلية غردون خلال الأعوام الدراسية الأخيرة, وحمل المقال اسم (فقد صديق), وكان يقول به: "**لين في الجانب ودماثة في الاخلاق وقسط موفور من الوفاء, وحفظ الوداد إلى رباط الجأش وصلابة العود وحسن المبدأ, كل تلك الصفات كانت تطالعني في صديقي ابي طالب, فكنت أجد فيها المتعة والهناء, وكانت تدفع بنفسي إلى مصادقته, وتملك على اعجابي به وتقديري له حتى اشعر في أعماق نفسي إني أنشد فيه المثل, وأرى فيه بريق الرجولة الجبارة**", وختم المقال: "**فقد غادرت نفوسا شجى دموعاً واسى والسنة تبلبل, واعياداً تنفطر, وحشاشات تذوب من فرط الحزن والألم, وأناساً هم أحوج إليه, فقد ترك في نفوس اصدقائه ذكرى ألم رحم الله محمد فقد كان قوياً وطيباً النفس**"[28], وكان ذلك المقال أول مقال نشره محمود محمد طه, وكانت شهادة زملائه ومعاصريه في كلية غردون بما يشبه الاجماع على إنه كان كثير التأمل متميزاً بالزهد والبساطة في حياته, يحظى باحترام كبير بصفاته وسلوكه, كانت شخصيته قد اتسمت بالهيبة والوقار والجدية, فقد قال أحد اصدقائه في دفعته في الكلية جمال محمد أحمد (1915- 1986)[29] قائلاً: "**الذين اعدموا محمود محمد طه اظن انهم غير مقتنعين, بل جاءوا ببراهين عجيبة, وحوروا الآيات بما يشتهون, فضلاً على إنهم لا**

DOI:10.52113/uj05/023-16/694-703

يعرفون قيمة محمود"[30], وكان محمود نموذجاً لرجل الدين الذي يؤثر بالأخرين بصفاته وسلوكه, كان بسيطاً حتى في اغتياله, والزهد الذي عاشه رجل نذر نفسه بوصفه رسالة, وقد أدى تلك الرسالة بأسلوب جديد على الاسلام في تلك الأزمات الخانقة, لذلك لم يكن غريباً أن يعدم محمود, فقد عبر عبد الرحمن عبد الله عبد العال بموقف واضح, فقد حكى لمربي عبد الرحمن كيف إن الاستاذ محمود غير مسار حياته عندما نصحه بأن يستقيل من العمل في كلية غردون, وشجعه بالذهاب لتشجيع أهله من خلال قبوله لوظيفة مدير مدرسة (القولد الأهلية الوسطى) التي قرر مؤتمر الخريجين تأسيسها بعد انشاء مدرسة أم درمان الأهلية, وتكلم عبد الرحمن قائلاً: **"عندما قرر تأسيس المدرسة شجعني الاستاذ محمود ان اذهب مديرا لها وقال لي اذهب وعلم اهلك وبالفعل استقلت من كلية غردون وذهبت مديرا لمدرسة القولد الاهلية الوسطى في اوائل الاربعينيات وقد شاركت في تشييدها من حجر أساسها, وكنت أحمل مع الطلبة والاساتذة والأهالي ما تبرعوا به من حديد واخشاب وجريد النخيل والحجر والطوب والمونة"**, لقد كانت مدرسة القولد أول مدرسة وسطى في عموم السودان الشمالي من حلفا إلى البريد, وكانت في كل السودان في ذلك الوقت عشرة مدارس وسطى فقط.

أيضاً تكلم جرجس عياد واسكندر[31] زملاء الاستاذ محمود في كلية غردون عن الاحترام الذي كان يحظى به الاستاذ محمود بين زملائه, إذ قال اسكندر عنه: **"كان شخصاً صغيراً مهذباً هادئ الطبع, وكنت في وقتها أصغر منه سناً, كان يعد اليوم الدراسي لا تجده إلاَّ يصلي أو يدرس على سجادة الصلاة, لم أسمعه يضحك أو يثير ضجيج مثل الطلبة العاديين, فهو كان صارماً ولا يوجد شيء في حياته خارج نطاق الجدية"**, وعن أسباب اختلاف محمود مع الأخرين, وعن العوامل التي أثرت في شخصيته, ذكر جرجس: **"من الصعوبة معرفة ما هو الذي أثر على محمود محمد طه, فقد كان عميق التدين أكثر من الأخرين مع الميل إلى القومية السودانية"**, كذلك لاحظ العديد من أصدقائه وزملائه إنه كثير التأمل بشكل يجعلك تصدق كل كلمة يقولها[32], كذلك وصفه يحيى محمد عبد القادر بأنه: مفكر عميق التفكير كثير التأمل وأحد أعضاء الحزب الجمهوري خلال النصف الثاني من الأربعينيات[33].

الاستقالة من الوظيفة:

تخرج محمود محمد طه من كلية غردون عام 1936, وهو العام الذي شهدت فيه توقيع اتفاقية بين بريطانيا ومصر, وتلك الاتفاقية اتاحت للمصريين التوافد إلى السودان, قبل عامين كان السير ستيوارت سايمز حاكماً على السودان, والحق به السير دوغلاس نيوتولد سكرتيراً إدارياً عام 1939, وكان من الداعمين للتعامل مع المتعلمين, وكانت سياسة السير ستيوارت الليبرالية تحتاج لخبرة في كيفية التعامل والمهادنة مع الخريجين السودانيين, وقد خشي البريطانيون عدم استطاعتهم تلبية مطالب الخريجين السودانيين, وخوفاً لجوء هؤلاء إلى المصريين القادمين من مصر والاتحاد ضدهم من خلال السماح بقيام مؤتمر الخريجين عام 1938, ودخل محمود الشارع العام والخدمة المدنية قبل قيام مؤتمر الخريجين بعامين مهندساً برئاسة مصلحة سكك حديد السودان بمدينة عطبرة, إذ عين بتاريخ 2 شباط 1936[34], ومنذ الوهلة الأولى قاد المواجهة لتصحيح أوضاع نادي عطبرة مكان النشاطات الثقافية الأدبية, وقال عنه محمود: **"ما كان اسمه نادي الخريجين, كان اسمه نادي السكة الحديد (نادي موظفي السكة حديد السودانيين)"**, وعن تبعية النادي وادارته قال: **"إن النادي كان تابع للمصلحة, وإن مدير المصلحة رئيس الشرف, وإن كبار موظفي السكك هم: الذين عينوا في النادي"**, وقد رافق محمود كل من ميرغني حمزة الذي جاء الى عطبرة منقولا من بورتسودان, وأمين صديق (1911_1980)[35] الذي عمل محاسباً في مدينة الدامر, وكان يزور مدينة عطبرة من وقت إلى آخر.

DOI:10.52113/uj05/023-16/694-703

قال محمود: **"إنهم عملوا في نادي السكة بؤرة أدبية كبيرة جداً من عام 1936-1937, إذ اقتضت أن تكون اللجنة منتخبة, وإن سكة الحديد ليس لها أي اشراف على النادي, وانقلبت الأوضاع فيه, وإن الناس التي عملت على السكة الحديد بوصفهم ضباط لم يشرفوا على النادي, وقد تم تغيرهم بعد الانتخابات"**[36], وتمت الانتخابات واختير ميرغني حمزة رئيساً للجنة النادي بعطبرة ومحمود طه سكرتيرها, فتجدّدت حركة النادي تماماً, وذكر مصطفى أبو شرف (1919-2008) إن المهندس محمود محمد طه رحمه الله وزملائه هم الذين حركوا الجمعية الأدبية مما كان له الأثر في تحريك العمال, وبدأ العمال يحضرون إلى النادي السوداني رغم عمل الانكليز بقانون (فرق تسد), وعمل في عطبره (مسلم وقبطي) حتى جاء المؤتمر, والغى تلك المسميات وكان العمال هم لب الوطنية الجنود المخلصين, ومنهم: سليمان موسى, والطيب حسن, ومحمد ادريس, واحمد الفكي, وخيري عبد المجيد, وكان الاستاذ محمود قد نقل إلى حبيت, ولكن الحركة بقيت بعد انشاء مؤتمر الخريجين عام 1938, واستطاعوا تغيير اسم النادي من نادي موظفي السكة الحديد إلى (نادي الخريجين بعطبرة), وفتح النادي لكل مواطني عطبرة, وقد أربك ذلك النشاط الانكليز الذين قرّروا نقل محمود طه من عطبرة إلى كسلا, ووصف ذلك قائلاً: **"ان ذلك النقل هو تدبير كيدي حيث كانت الخلافات بيني وبين الموظفين الانكليز كثيرة"**, إن نقل محمود طه إلى مدينة كسلا في شرق السودان دفعه لتقديم استقالته، وجاءت الاستقالة مع الخلافات المستمرة مع الموظفين الانكليز, وبعد تكرار المحاولات تم ابعاد محمود عبر نقله إلى المناطق النائية, وفي المرة الأخيرة رفض محمود طه تنفيذ النقل, وذكرت بتول مختار محمد طه إن الاستاذ رفض النقل وقال للخواجة لن انفذ ذلك النقل[37], وقدّم الاستقالة من العمل أواخر عام 1941, وفي أواسط عام 1944 بدأ الأعمال الحرة كمهندس ومقاول, لم يكن محمود متعاوناً مع رؤسائه في العمل, وكان مستقلاً وصارماً مع زهد واضح في العمل, فقد تضمنت بعض التقارير بملف خدمته بسكك الحديد السودان ملاحظات رؤسائه في العمل الذين وصفوه بأنه مستقل بطبعه وصاحب شخصية صارمة, مكث محمود في وظيفة سكك حديد السودان لمدة ستة أعوام, وفي المرحلة اللاحقة ما بين عامي 1952-1954 عمل في شركة حكومية عبر عن طبيعة عملها بقوله: **"إنه بين عامي 1952-1954 كنت أعمل بشركة النور للطاقة الكهربائية كمهندس مدني وبراتب شهري "**[38], إلاّ أن الادارة المركزية منذ عام 1954 كلف محمود طه بالعمل بوصفه مهندس فني ومقاول ريفي للمشاريع الخصوصية بمنطقة كوستي ومشاريع الطلميات, أما العمال المقاولون فأنه يدفع عنهم اصحاب تلك المشاريع,, كانت استقالة محمود طه من وظيفته مع بداية الحرب العالمية الثانية 1939-1945, وكان مؤتمر الخريجين الذي تأسس في شباط عام 1938 قد قطع شوطاً في دوراته, ولم يكن الاستاذ مشتركاً فيه أو منتسباً أو عضواً في أي هيئة من هيئاته أو لجنه من لجانه في كل دوراته الانتخابية التي بلغ عددها خمسة عشر دورة منذ تأسيس المؤتمر, وحتى حله واندماجه في الحزب الوطني الاتحادي في شباط 1952, وحضر محمود مع بعض رفاقه مهرجان تكوين الاحزاب السودانية معلناً في يوم الجمعة 26 تشرين الأول 1954 عن انشاء الحزب الجمهوري, إذ بدأت مرحلة جديدة في حياة الاستاذ قوامها المواجهة واتساع دائرتها, والنضال بمختلف أدوات المثقف من أجل استقلال السودان, تبع ذلك السجن والاعتكاف والخلوة بمدينة رفاعة, ثم الخروج من الخلوة في تشرين الأول عام 1951, وطرح مشروع التجديد الاسلامي[39].

الخاتمة والاستنتاجات:

بعد هذا الجهد في البحث والتقصي في دراسة محمود محمد طه ونشاطه السياسي والفكري توصلت الباحثة الى جملة من النتائج يمكن اجمالها بالنقاط التالية:

DOI:10.52113/uj05/023-16/694-703

- ينتمي محمود محمد طه إلى أسرة ذات امتدادات صوفية ونشأ في بيئة ريفية, وفي ظل ظروف معيشية واجتماعية قاسية قد غرست في داخله روح الطموح والتحدي لتغيير الواقع الذي يعيش فيه, ومحاولة التخلص منه؛ لذا اتضح إنه دائم الطموح نحو الأفضل.
- كان لوضع السودان العام وما تعرضت له تلك البلاد من احتلال واستعمار بدء بالعثمانيين, ومن ثم المصريين, وآخرها البريطانيين, وما تخللها من نشاط للحركة المهدية الذي تمخض عن قيام أول حكومة وطنية في السودان على أسس إسلامية كانت الحافز _رغم سقوطها_ لمحاولة تكرار التجربة, وإن كانت بصور أخرى, وذلك ما جعل من محمود محمد طه يحمل تلك الروح الثورية للمطالبة باستقلال السودان, وانهاء الوجود الأجنبي على أراضيه.

الهوامش:

(1) جلال الدين الهادي الطيب ادريس, منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية, مخطوطة, ورقة 1.

(2) بموجب اتفاقية الحكم الثنائي المعقودة في 9 كانون الثاني عام 1899, وبعد القضاء على الثورة المهدية عام 1899 اندلعت الثورة بقيادة الإمام محمد أحمد بن عبد الله المهدي للمدة (1844-1885), واستطاعت طرد الحكم التركي المصري, بعد أن حررت العاصمة الخرطوم يوم 26 كانون الثاني 1885.

(3) محمد عمر البشير, تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900.1969, ترجمة هنري رياض وآخرون, الناشر: الدار السودانية للكتب, ص 39.

(4) بتول مختار محمد طه, ابنة شقيق الاستاذ محمود محمد طه.

(5) بتول مختار محمد طه, محمود الانسان, قراءة الايام، الشركة العالمية للطباعة والنشر، 2003, ص27.

(6) بتول مختار محمد طه, , المصدر سابق, ص40.

(7) المصدر نفسه, ص40.

(8) عبد الله الفكي البشير, صاحب الفهم الجديد للإسلام, محمود محمد طه والمثقفون, قراءة في المواقف وتزويد الأحداث, 2013, ص126.

(9) تزوجها النور محمد حمد, أحد تلاميذ الاستاذ محمود, في حزيران عام 1986, وانجبا آمنة ومحمود. للمزيد ينظر: بتول مختار محمد، المصدر نفسه.

(10) تزوجها أحمد المصطفى دالي, أحد تلاميذ الاستاذ محمود في تموز عام 1986, وانجبا آمنة ومحمود. بتول مختار محمد ، المصدر نفسه

(11)محمود محمد طه, تعريف بمحمود (مخطوطة) ورقة 7..

(12) **الخلوة:** الخلوة مكان يقصده المرء ليخلو فيه وينقطع عن الناس للذكر والعبادة، فقد تكون الخلوة مبني أو كهف, وفي العامية السودانية وخاصة في الريف أطلق الناس كلمة خلوة علي الحجرة المخصصة منزلاً للضيوف, فهي شبيه بالديوان أو الصالون في مناطق الحضر، والخلوة هي المكان الذي يختلي فيه الرجل بنفسه ، وعند الصوفية المكان الذي يختلي فيه المريد بنفسه متعبداً لربة، والخلوة في السودان, أيضا مكان لحفظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة, وتدريس علوم الدين ومركز للعبادة كذلك، وتقابل كلمة الخلوة في السودان كلمة الكتاب في أكثر البلدان العربية والإسلامية, وترجع الخلوة في نشأتها كمكان لتحفيظ القرآن والعبادة وتدريس علوم الدين إلي القرن الخامس عشر الميلادي ، وصار الفصل بين الخلوة والمسجد في هذه الفترة من الصعوبة بمكان, ويعرف معلم الخلوة عبد الله، محمد كباشي، محاضرات في الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم ، 2007، ص77.بالفكي. للمزيد من التفاصيل ينظر:-عبد الله، محمد كباشي، محاضرات في الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم ، 2007، ص77.

(13) عون الشريف القاسم, قاموس اللهجة العامية في السودان, ط3, الناشر: الدار السودانية للكتب, 2002, ص90.

(14) بتول مختار محمد طه ، المصدر السابق ،ص41

(15) المصدر نفسه , ص42.

(16) المصدر نفسه, ص 38.

(17) عز الدين الأمين, نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية, دار جامعة الخرطوم للنشر, الخرطوم, 1999, ص ص17-22.

(18) محمد عمر البشير, التعليم في السودان في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (1820-1956), الناشر: مركز محمد عمر البشير للدراسات السودانية, جامعة أم درمان الأهلية, أم درمان, 2005, ص10.

(19) محمد ابو القاسم جامع حمد السودان, المأزق التاريخي وأفاق المستقبل (جدلية التركيب), م1, ط2, دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, 1996, ص 185.

DOI:10.52113/uj05/023-16/694-703

(20) محمود محمد طه, تعريف بمحمود محمد طه (مخطوطة), تكونت من ثمان صفحات بخط يده, وكتب بتاريخ 26 شباط 1972, وقد حصلت على تلك المخطوطة من الدكتور عبد الله الفكي البشير الذي حصل عليها من الاستاذة اسماء محمود محمد طه, ورقة 1.

(21) محمد سعيد القدال, تاريخ السودان الحديث 1955- 1820, الناشر: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي, أم درمان, ص460.

(22) محمد احمد المحجوب وعبد الحليم, موت دنيا, الناشر: مطابع اخبار اليوم, القاهرة, 1946, ص 109.

(23) **أحمد السيد الفيل:** ولد بمدينة أم درمان سنة 1885, تلقى تعليمه في كلية غرودون–قسم القضاء, وتخرج قاضياً شرعياً وتم تعيينه نائب قاضي القضاة، عدّ من مؤسسي نادي الخريجين وسمي اعوانه بالفيلية, ومثّل طائفة الختمية، ينظر: المعتصم أحمد، المصدر السابق، ص 245

(24) **علي الميرغني:** زعيم ديني وسياسي سوداني, زعيم الأسرة الميرغني المعروفة في مصر والسودان واريتيريا, ولد عام 1879, وتوفي عام 1968. للمزيد ينظر: خالد حسين عثمان, مؤتمر الخريجين ونشأة الاحزاب السودانية , مجلة كتابات سودانية, ع 5, مصر, 1994, ص12.

(25) **محمد علي شوقي:** من مواليد أم درمان درس في كلية غرودون-قسم القضاء وتخرج قاضياً شرعياً, وعدّ من مؤسسي نادي الخريجين والجمعيات الأدبية, وكان يمثل جماعة الانصار, واطلق على مؤيديه بالشوقية نسبةً إليه. ينظر: منى احمد ابراهيم، وثائق مؤتمر الخريجين، مج1، أم درمان, 2008

(26) **عبد الرحمن المهدي:** ولد في أم درمان, كان له دوراً كبيراً في مؤتمر الخريجين, التفّ حوله عدد كبير من الخريجين والمثقفين, وكان يدفعهم نحو مطلب الاستقلال, أسس صحيفة حضارة السودان عام 1919, وصحيفة النيل عام 1935, وحزب الأمة الذي كان شعاره (السودان للسودانيين), وفي عام 1945 عارض الدعوة إلى الاتحاد مع مصر, والدخول تحت التاج المصري, وبقي يعمل بقوة في سبيل الاستقلال حتى اتفق مع الاتحاديين, وتم أعلان الاستقلال في 19 كانون الأول عام 1956, وتم الجلاء في 1 كانون الثاني عام 1956, توفي في 24 أذار 1959, ودفن في أم درمان مع أخيه الصديق المهدي. للمزيد ينظر: خالد حسين عثمان, المصدر السابق, ص17.

(27) جلال الدين الهادي, اطيب ادريس, منشورات تاريخ الفكرة الجمهورية, (مخطوطة), ورقة 2.

(28) نقلاً عن محمود محمد طه (فقد الصديق) مجلة كلية غردون ,ع3, المجلد 4, 8 أذار 1935.

(29) اديب دبلوماسي وكاتب ولد عام 1915بقرية سره شرف بمنطقة وادي حلفا تخرج من قسم المدرسين بكلية غوردون, سافر في بعثة دراسية إلى انكلترا خلال المدة ما بين المدة (1943- 1946) حيث نال دبلوما في التربية والتعليم ثم التحق بجامعة اوكسفورد للدراسات العليا في الفترة ما بين (1952-1954) حيث نال شهادة في الاداب وعمل بالتدريس في بخت الرضا ثم مراقبا لشؤون التلاميذ في كلية غوردون (1949- 1952), ثم التحق بالسلك الدبلوماسي السوداني منذ نشأته عام1956وتدرج فيه واصبح سفيرا للسودان في بعض الدول ثم وكيلا لوزارة الخارجية (1968- 1970), ثم وزيراً للخارجية وعمل رئيسا لمجلتين, وأدار عدد من الصحف السودانية. للمزيد ينظر: المعتصم احمد الجامع ,معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، الخرطوم 2001 ,ص13.

(30) نقلاً عن المصدر نفسه.

(31) زميل الاستاذ محمود في كلية غردون, وهو طبيب عاش في كوستي, وأسس أول عيادة, و انشأ أول مزرعة ابقار ومزرعة, وغلف منتجاته من الألبان في قناني زجاجية أنيقة. للمزيد ينظر: خالد حسين عثمان, المصدر السابق, ص21.

(32) نقلاً عن علي عثمان محمد صالح, البشير سهل جمعة سهل، في الثقافة السودانية دراسات ومقالات ، الخرطوم (2001), ص170.

(3) يحي محمد عبد القادر , شخصيات من السودان, أسرار وراء الرجال, ج3, ط2, الناشر: المطبوعات العربية للتأليف والترجمة, الخرطوم, 1978, ص ص144-146.

(34) محمود محمد طه, ملف الخدمة, رقم الوظيفة, 11837, رقم الموظف 557, سكك حديد السودان عطبرة.

(35) أمين محمد المعروف بأمين صديق, درس في كلية غردون, عمل في قسم الحسابات في البوستة-البريد-, ثم في وزارة الاشغال, ووزارة المالية, ثم وكيلاً لوزارة المالية حتى تقاعد عام 1960, واتجه إلى العمل الخاص.

(36) نقلا عن محمود محمد طه, لقاء الاستاذ بمندوبي معهد الدراسات الافريقية والآسيوية, جامعة الخرطوم.

(37) بتول مختار محمد طه, المصدر السابق, ص51.

(38) المصدر نفسه, ص52.

(39) المصدر نفسه, ص53.

DOI:10.52113/uj05/023-16/694-703

قائمة المصادروالمراجع:

أولاً_ الوثائق غير المنشورة:

محمود محمد طه, ملف الخدمة, رقم الوظيفة, 11837, رقم الموظف 557, سكك حديد السودان عطبرة.

ثانياً_ الوثائق المنشورة:

جلال الدين الهادي الطيب ادريس, منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية, مخطوطة, ورقة 1.

جلال الدين الهادي, اطيب ادريس, منشورات تاريخ الفكرة الجمهورية, (مخطوطة), ورقة 2.

محمود محمد طه, تعريف بمحمود محمد طه (مخطوطة), تكونت من ثمان صفحات بخط يده, وكتب بتاريخ 26 شباط 1972, ورقة 1.

ثالثاً_ الكتب:

بتول مختار محمد طه, محمود الانسان, قراءة الايام، الشركة العالمية للطباعة والنشر،2003.

خالد حسين عثمان, مؤتمر الخريجين ونشأة الاحزاب السودانية, مجلة كتابات سودانية, ع 5, مصر, 1994.

عبد الله الفكي البشير, صاحب الفهم الجديد للإسلام, محمود محمد طه والمثقفون, قراءة في المواقف وتزويد الأحداث , 2013.

عبد الله، محمد كباشي، محاضرات في الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم ، 2007.

عز الدين الأمين, نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية, دار جامعة الخرطوم للنشر, الخرطوم, 1999.

علي عثمان محمد صالح, البشير سهل جمعة سهل، في الثقافة السودانية دراسات ومقالات، الخرطوم, 2001.

عون الشريف القاسم, قاموس اللهجة العامية في السودان, ط3, الناشر: الدار السودانية للكتب, 2002.

محمد ابو القاسم جامع حمد السودان, المأزق التاريخي وأفاق المستقبل (جدلية التركيب), م1, ط2, دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, 1996.

محمد احمد المحجوب وعبد الحليم, موت دنيا, الناشر: مطابع اخبار اليوم, القاهرة, 1946.

محمد سعيد القدال, تاريخ السودان الحديث 1955- 1820, الناشر: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي, أم درمان.

محمد عمر البشير, التعليم في السودان في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (1820-1956), الناشر: مركز محمد عمر البشير للدراسات السودانية, جامعة أم درمان الأهلية, أم درمان, 2005.

محمد عمر البشير, تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900.1969, ترجمة: هنري رياض وآخرون, الناشر: الدار السودانية للكتب.

محمود محمد طه, لقاء الاستاذ بمندوبي معهد الدراسات الافريقية والآسيوية, جامعة الخرطوم.

المعتصم احمد الجامع ,معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، الخرطوم 2001.

منى احمد ابراهيم، وثائق مؤتمر الخريجين، مج1، أم درمان, 2008.

يحي محمد عبد القادر, شخصيات من السودان, أسرار وراء الرجال, ج3, ط2, الناشر: المطبوعات العربية للتأليف والترجمة, الخرطوم, 1978, ص ص144-146.

رابعاً_ المجلات:

محمود محمد طه, (فقد الصديق) مجلة كلية غردون ,ع3, المجلد 4, 8 أذار 1935.

DOI:10.52113/uj05/023-16/694-703

Mahmoud Mohamed Taha (birth, upbringing and cognitive formation)

Abstract

Mahmoud Muhammad Taha is one of the Arab thinkers who emerged during the twentieth century and since his birth in 1909 in the village of Heglig and a decline from a social environment with a Sufi culture to a move to the city of Rifaa for no education and from there he went to Gordon College, which represented a transition from rural Sufi culture to civil culture with Western influence, considering The faculty at Gordon College are mostly English or teachers in British schools, and it is natural for the student to be affected by the educational environment from which we draw his knowledge. In addition to that, the political situation in Sudan bore the character of British and Egyptian colonialism and marginalized the Sudanese in managing their country. This is why we find that Mahmoud Muhammad Taha carried his country's concerns from a young age and worked to resist the occupation, but peacefully and not using violence .

DOI:10.52113/uj05/023-16/694-703